



د. عبدالحق عزوزي

عن الكاتب

أرشيف الكاتب

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=64271>

تجدد الحلم المغربي

تاريخ النشر: الثلاثاء 21 فبراير 2012

لا يمكن تصور تنمية أو تطور اقتصادي لبلد من البلدان في استغناء عن الدول المجاورة، ومن هنا مفهوم الاتحادات والتكتلات الجهوية التي تخلق تعاوناً في المجالات الاقتصادية والمالية والثقافية والاجتماعية بل والسياسية؛ وتخلق الاتحادات والتكتلات فرص الشغل لكل الشعوب... وإذا وقع تعثر في زمن من أزمنتها فإنه سرعان ما تتوقف تلك الأزمات وتتحقق التنمية المنشودة إذا أعملت عوامل التعقل والتكافل، ولنا في تجربة الاتحاد الأوروبي كثير من الدروس والعبر.

وفي كل دول المعمورة المتجانسة، يبقى اتحاد المغرب العربي الذي يحتفل بمرور 23 سنة على تأسيسه من أكثر الاتحادات المثيرة للغرابة والاستفهام، فالدول عرفت مساراً تاريخياً واحداً، وتعاونت الشعوب فيما بينها لطرد الاستعمار وبناء دول ما بعد الاستعمار، ومكنهم ذلك من الالتحام في بحر الوحدة المغربية ولو عن طريق الخطاب السياسي الذي ميزه لقاء طنجة التاريخي سنة 1958 أو الكتابات الأدبية والصحفية التي كانت تدعو لإخراج هذا الحلم إلى واقع ملموس. ويكفي الرجوع إلى ما كتب في الفترة الفاصلة بين لقاء طنجة سنة 1958 وقمة مراكش في فبراير 1989 لنذكر أن فكرة الوحدة المغربية ظلت الهاجس الذي يحرك كل الأقسام.

ولكن سرعان ما استحكمت في العلاقات المغربية الجانب السياسي على الاقتصادي والذاتي على الترموي... وعلى رغم توالي الصيحات المغربية والدولية التي تنادي بأهمية التكتل المغربي والوحدة المغربية، بقيت بعض الفئات المغربية رهينة لمزاج الحرب الباردة التي تؤرق فيها عقدة وجود دول محورية في الاتحاد أو تفوق إقليمي لدولة من الدول؛ ثم كانت على رأس تلك المشاكل قضية الصحراء المغربية التي أفحمت فيها أطراف كانت تسعى من وراء ذلك إلى افتعال قضايا لتقويض بناء الدولة ما بعد الاستقلال...

وإذا كانت ستحسب للأحداث العربية حسناً على دول المغرب العربي، فلربما سيتجلى ذلك في إعادة بناء الاتحاد المغربي، وهناك مؤشرات إيجابية تدل على ذلك وعلى رأسها تصريحات الرئيس التونسي المنصف المرزوقي الذي بدا في زيارته المغربية الأخيرة معولاً على الأحداث العربية وحق الشعوب في التنقل والإقامة والتملك والعمل والاستثمار، وهي حقوق لا يمكن مصادرتها، وأردف قائلاً عند زيارته للمغرب: "أهداني الملك هدية كنت أريدها ولم أطلبها حينما قال لي يجب إعادة بناء المغرب العربي"؛ هكذا كانت كلمات الرئيس المرزوقي لوسائل الإعلام المغربية في جولة قادته إلى موريتانيا ثم الجزائر. ونفس التفاؤل كان واضحاً عند زيارة وزير الخارجية المغربي الجديد سعد الدين العثماني للجزائر التي استقبل خلالها من طرف الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة، ونفس التفاؤل يمكن رصدته أيضاً خلال اجتماع وزراء خارجية دول المغرب العربي يوم السبت الماضي في الرباط.

وفكرة الوحدة متجذرة في وعي المغاربة وبالأخص في ذهن النخب التي قاومت الاستعمار؛ وسأحكي للقارئ الكريم قصة فريدة وقعت في تاريخ المغرب العربي وكان قاداتها ممثلين من المجتمع المدني المغربي ترأسها الوزير والمستشار محمد القباج المعروف بنضاله الكبير ومنجزاته في مجال الاقتصاد والثقافة المغربيين والعالميين، وتجربته الرائدة في خلق أولى مؤسسات المجتمع المدني في عالمنا العربي وعلى رأسها مؤسسة "فاس سايس" وروح فاس.

وكانت الفكرة التي تقدم بها على رأس مؤسسة "فاس سايس" تكمن في خلق "سفينة الوحدة المغربية" مباشرة بعد قمة مراكش التاريخية؛ وعرفت الفكرة تجسيدا واقعيا؛ إذ قامت جمعية "فاس سايس" بتنظيم رحلة الوحدة على متن سفينة مراكش وقد ضمت نخبة من أبناء المغرب العربي من مفكرين وأدباء وأصحاب قرار وسياسيين وممثلي مجتمع مدني، وعبرت بهم الشاطئ المغربي المتوسطي ورسبت بهم في موانئ طنجة وتونس وطرابلس دون جوازات سفر؛ وانعقدت هذه الرحلة تحت شعار المغرب العربي آفاق 2000 في إطار مناظرة حول موضوع الاندماج المغربي افتتحت يومي 21 و22 مارس بمدينة فاس لتستمر من 23 إلى 31 منه على ظهر الباخرة مراكشCE، هذا بالإضافة إلى الاستقبالات والزيارات والأنشطة الثقافية والفنية التي نظمت خلال الرحلة.

وسفينة مراكشCE التي أبحر على متنها الملك المرحوم الحسن الثاني في يونيو 1988 لحضور اللقاء المغربي التاريخي بالجزائر، كانت الإطار البديع لعقد لقاءات وتبادل الآراء والاقتراحات والتطلعات المستقبلية حول مختلف جوانب الوحدة المغربية وحول السبل والوسائل الكفيلة بدعمها، لاسيما على مستوى المشاريع التنموية.

واكتست الرحلة طابعا ثقافيا واقتصاديا وفنيا وتراثيا، أتاحت لممثلي كل قطر فرصة الإلقاء بخبراتهم والتعريف بإمكانياتهم والتعبير عن متمنياتهم؛ وسافروا دون إجراءات أمنية وجمركية من أجل مزيد من التقارب بين شعوب المنطقة.

إن سفينة الوحدة قد نجحت في خلق الروح المغربية المتينة لبناء ودعم اتحاد المغرب العربي، ويمكن الجزم بأن السلوك والأخلاق العالية التي سادت وطبعت الحياة اليومية على ظهر سفينة الوحدة، التي يحكيها لي إلى الآن نخبة من المغاربة الذين شاركوا في رحلة السفينة المغربية، هي تجسيد بالغ لقدرة واستعداد كل مكونات الشعوب المغربية إذا أعطيت الفرصة للتمازج والتعايش والتعاون والتساكن والبناء المتكامل، وتأكيد على تجاوز القمة التي خططت في مدينتي زيرالدة ومراكش وأنجزت ذلك البنين المرصوص -اتحاد المغرب العربي.

وعاد المشاركون في أواخر ثمانينيات القرن الماضي إلى بلدانهم وهم يحملون أجمل الذكريات وأنبيل المشاعر؛ وها هي سفينة الوحدة قد عادت إلى نقطة انطلاقها في ميناء طنجة لتبحر في اليوم الموالي وتواصل رحلاتها الاقتصادية والسياسية، بدون كلل ولا ملل؛ ويقيني أن مسيرة الوحدة المغربية يجب أن تتواصل هي أيضا دون كلل ولا ملل، مهما كانت الظروف لتحقيق كل الآمال ولتجسيد المطامع الشعبية المشتركة.